توفيق الحكيم
الجياع
مكتبة علي بن صالح الرقمية

توفيق الحكيم

العش الهادئ

مسرح

1950

كتب أونلاين
كتب للجميع

مكتبة علي بن صالح الرقمية

الجياع

تمثيلية في فصل واحد

(كازينو على النيل ... مائدة منفردة في ظل الشجر ... جلس إليها رجل بمفرده، هو «عزت بك» ... المصابيح الكهربائية تصبغ الأشجار بأنوار لطيفة ... وموسيقى الكازينو ترسل من بعيد أنغامًا خافتة.)

عزت (يصفق): يا جرسون! ... يا عبده! ...

عبده (يظهر سريعًا): أفندم!

عزت: الورد ... أين الورد؟

عبده: جاهز يا سعادة البك ... جارٍ وضعه في «الزهرية» ... نفس النوع الفاخر كالعادة، طلبناه خصِّيصى من المحل الذي في شارع قصر النيل ...

عزت: والفاكهة؟

عبده: كل شيءٍ جاهز حسب الترتيب ... لم أنسَ شيئًا ... عيب ... أهذه أول مرة أخدم فيها سعادتك ...

عزت: والكباب ... طبعًا ...

عبده: طبعًا ... لحم درجة أولى ممتاز ... ونبدأ الشواء عند حضور الست ... كالمعتاد ...

عزت (وهو ينظر في ساعته): ساعتك مضبوطة يا عبده؟

عبده (ناظرًا في ساعته): الساعة الآن العاشرة والدقيقة حوالي الخامسة والأربعين.

عزت (كالمخاطب نفسه): غير معقول!

عبده: الساعة؟

عزت: الست ... ميعادها التاسعة والنصف!

عبده: ربما كانت في الطريق ... هل جعت سعادتك؟ ... أحضر لك «سلطة طحينة»، أو قليلًا من الخيار المثلج؟!

عزت: لا ... ليس الجوع ... بالعكس ... إني في منتهى الشبع ... ورائحة الشواء الآتية من مطبخكم تكاد توجع بطني! ...

عبده: رائحة الشواء لذيذة تفتح الشهية!

عزت: إنها تصد نفسي ... كنت معزومًا اليوم على الغداء على مائدةٍ حوَتْ كل أصناف اللحوم ... وبالأمس أيضًا ... ما دام لي معارف، لهم أعياد ميلاد، ولهم ذهن يتفتّق دائمًا عن مناسباتٍ لحفلات واجتماعات، فلا بد أن أدفع هذه الضريبة!

عبده: الخير كثير في البلد ... وما دامت الجيوب عامرةً يا سعادة البك، فكل شيء يهون.

عزت (يطرد بيده كلبًا عابرًا): أرجوك يا عبده ... الكلاب والقطط ... عيب هذا المكان هذه الكلاب والقطط المتلصصة حول الموائد!

عبده (يطرد بخرقة في يده الكلب): امشِ ... امشِ ... (يشير إلى الكازينو) نحن أيضًا يا بك لا يمضي علينا يوم أو ليلة دون أن نحجز مائدة كبيرة لحفلة خصوصية ... الليلة مثلًا عندنا عشاء لحوالي عشرين ... من كبار تجار الجملة، يحتفلون بعيد ميلاد «زين عصره» ...

عزت: زين عصره! ... من هذا؟

عبده: حصان السبق المشهور ... الذي يملكه أحدهم ... مرسي بك أبو طويلة.

عزت: فكرة!

عبده: طلبوا تجهيز أصناف «أكسترا» ... أربعة ديوك رومية ... «جارنتورة» أرز بخلطة أبي فروة مع الزبيب والصنيبر ...

(يعوي الكلب الضالّ فيظهر ... ويظهر بجواره طفل في التاسعة يحمل ورق اليانصيب، وهو في أسماله شبه عاري الجسد ...)

الطفل: إسعاف ... إسعاف يا بك؟ ... ألف جنيه!
(يرى الخبز موضوعًا على المائدة) تسمح لقمة؟!

عبده (يطرده بالخرقة بحركةٍ آلية معتادة): امشِ ... امشِ ... (يرى الكلب بجواره) امشِ أنت وهو!

(يخرج الكلب والطفل هاربَين، وخلفهما قطّة كانَت على وشك الظهور، فتهرب بهروبهما ...)

عزت (لعبده): ذكرتني ... بمناسبة الحفلات ... أخشى أن تكون الستُّ التي انتظرتها قد تناولت العشاء هناك ... الليلة حفلة خيرية لمبرة من المبرات في طريق الهرم ... وهي مدعوّة مع زوجها ...

عبده: ولماذا أمرت سعادتك إذن بأن نعدّ الليلة الكباب والفاكهة والورد؟!

عزت: أكّدَت لي أنها لن تتناول العشاء إلا معي هنا ... وأنها لن تمكث طويلًا في الحفلة الخيرية ... مجرد قيام بالواجب، ثم تعتذر بأي عذرٍ وتزوغ من الحفلة وتأتي على الفور ...

عبده: لا داعي إذن لقلق سعادتك ... ستأتي ...

عزت (وهو ينظر في ساعته): متى؟ ... متى؟ ... إنها قد تأخرت أكثر من ساعة! ...

عبده (في أدب): ربما كان سعادة زوجها هو الذي أخّرها ...

عزت: كيف يستطيع ذلك؟ ... ستقول له إنها متعبة، وإنها ستسبقه إلى البيت فيبقى هو كالعادة في جماعة من أصدقائه ... يتبارون في شراء الزهور من كل بائعةٍ حسناء من المتطوعات ... ثم يشاهدون الرقص واللوحات الحية والألعاب، وهم يتناولون الويسكي والطعام ثم «الشمبانيا» المثلجة، وعلى رءوسهم «الطراطير» الملونة ... ثم يجلسون في ركن «القهوة البلدي» لتلتقط لهم الصور وفي أفواههم «الجوزة» و«الشيشة»، طبعًا حضرت هذه الحفلات يا عبده؟!

عبده: حضرتها يا سعادة البك ... اشتغلت «بارمان» في كثيرٍ من هذه الحفلات.

عزت: إنها مغرية جدًا ... أتظنّ من السهل على رجل يأتي إليها بـ «السموكنج» الأبيض الجميل في هذا القمر الفضي البديع، يستطيع أن يتركها بعد قليل إلى البيت وراء زوجته المتعبة؟!

عبده: هذا شيء لا يمكن أن يحصل يا سعادة البك!

عزت: هذا أيضًا رأيي.

(صوت مقترب ينادي.)

الصوت: جرسون! ... يا جرسون ...

عبده (لعزت): زبون مقبل ... عن إذن سعادتك ...

عزت (وهو يحدق في القادم يهمس مرتعدًا): يا للمصيبة؟ ... زوجها ...

عبده (همسًا لعزت): زوج الست؟!

عزت (هامسًا يحاول التواري): أرجو ألّا يراني!

(يظهر الزوج في طرف المكان مرتديًا سترة سهرة بيضاء من الحرير.)

الزوج (صائحًا): عزت بك؟! ... عزت؟ ... أنت هنا يا عزت؟!

عزت (همسًا لعبده الجرسون): قف بالباب ونبِّهها!

عبده (هامسًا): لا تخف!

الزوج (متقدمًا): اسمح لي يا عزت أن أضايقك لحظة ... لا بد أن أقول لك شيئًا في غاية الأهمية ...

عبده (للزوج): البك يطلب؟ ...

عزت (وقد تمالك قليلًا): ماذا تطلب يا عبد الغني بك؟

عبد الغني: لا ... لا شيء.

عزت: اطلب شيئًا ... هل تعشيت؟

عبد الغني: لا ...

عزت (في تردد): إذن ...

عبد الغني: لا ... ليست عندي أي شهية للطعام ... وأنت؟ أراك كنت على أهبة الأكل ... (ينظر إلى المائدة) هذا طبق آخر ... كنت تنتظر أحدًا بالطبع!

عزت (بارتباك): لا ... أبدًا ... أبدًا ...

عبد الغني: على أي حال، لا بد لي من أن أجلس معك الآن قليلًا ... وأن تصغي إليّ

مليًا ... فأنت صديقي ويجب أن أخبرك ...

عزت (يُخفي اضطرابه): تفضل.

عبد الغني (للجرسون كي ينصرف): فيما بعد أطلبك ...

عبده: على راحتك يا بك ... (يغمز عزت بعينه) أنا على الباب!

(عبده يخرج.)

عبد الغني (لعزت): المسألة تتعلق بشوشو ...

عزت (مأخوذًا): شوشو؟!

عبد الغني: نعم ... شوشو ... زوجتي شوشو ... ألا تعرف ماذا اكتشفت الليلة؟

عزت: اكتشفت ... ماذا؟

عبد الغني: أنها تخونني ...

عزت: ما هذا الكلام؟!

عبد الغني: يدهشك هذا؟

عزت (يبلع ريقه): أنا ... أنا ...

عبد الغني: أنا أيضًا مندهش ولكن هذا هو الواقع ... ويجب أن نصدق الواقع ...

عزت: ربما ... كانت شبهة ...

عبد الغني: لا يا سيدي ... ليست شبهة ... بل حقيقة ... ملموسة، اتضحت اليوم لعيني ... أكثر من ذلك أستطيع أن أقول لك إني عرفت الشخص ...

عزت (مضطربًا): الشخص؟ ...

عبد الغني: العشيق ...

عزت (وهو يبلع ريقه): عرفته؟ ...

عبد الغني: نعم عرفته ... أتحب أن أقول لك من هو؟ ... هو صديق مع الأسف الشديد!

عزت (متغير الصوت والوجه): صديق! ...

عبد الغني: نعم ... طالما زارنا وخرج معنا واختلط بنا ... لكن الذي كان يرمي إليه ولا شك هو الانفراد بشوشو والاختلاء بها ... ولولا المصادفة البحتة الليلة لما عرفت الأمر ... كان بينهما اتفاق فيما يظهر على ذلك الميعاد ...

عزت (وهو مطرق): الميعاد!

عبد الغني: نعم يا سيدي ... كان مقرراً أن نذهب معًا أنا وشوشو إلى حفلة خيرية. وذهبنا بالفعل ... وكانت هنالك مائدة محجوزة لنا مع بعض الأصدقاء ... لكن أتدري ما الذي حدث ... ما كدنا نصل حتى قالت شوشو إنها تشعر بتعب ورغبة في النوم ... واعتذرت عن العشاء الذي كان قد أعد هناك ... وانفلتت من بيننا كالهاربة في وسط الجمع قبل أن يتمكن أحدٌ من استبقائها ...

عزت: ربما ... كانت ... متعبة حقًا.

عبد الغني: لا يا سيدي ... المتعبة لا تذهب بعد ذلك إلى كازينو ...

عزت (متخاذلًا): كازينو!

عبد الغني: لتتعشى وتأكل الكباب.

عزت (كمن تلقّى الضربة الأخيرة): آه ... كباب! ... انتهى الأمر! ... لا فائدة ...

عبد الغني: أليس كذلك يا عزت؟

عزت (في شبه توسل): وما الذي عولت عليه ... يا عبد الغني ... بك؟

عبد الغني: أريد أن آخذ رأيك أنت ... قبل أي إجراء ...

عزت: رأيي أنا ...

عبد الغني: نعم ... لو كنت في مكاني كيف كنت تتصرف ...

عزت (متلعثمًا): المسألة طبعًا ... دقيقة ...

عبد الغني: أعرف أنها دقيقة ... لكن لا بد لها من حل. هذا الصديق ... المزعوم ... ما رأيك فيه؟ ...

عزت (بصوت المتوسل): رأيي أن العلاقة ... بريئة ... تأكد ...

عبد الغني: بريئة؟ وما الذي يدعو زوجتي أن تكذب عليّ؟ ... وتدّعي التعب، وهي ذاهبة للقاء هذا الصديق؟!

عزت: ادعاء التعب أمر عادي ... يحدث دائماً بدون قصد ولا تفكير ...

عبد الغني: تريد أن تقول إن زوجتي وصديقي لم يقصدا خيانتي ...

عزت (بصوت متهدج): حاشا لله!

عبد الغني: وإن انفرادهما بريء ... وليس فيه أي اعتداء على كرامتي ...

عزت: كرامتك في الحفظ والصون ... ولا يمكن أن يكون أحدهما فكر في الاعتداء على كرامتك أو مكانتك! ...

عبد الغني: أواثق أنت يا عزت؟ ...

عزت: كل الثقة ...

عبد الغني: لقد ألقيت على ثورتي برداً وسلاماً ... وفي الحق ... ربما كنت مبالغاً ... أهذه أول مرة ألاحظ فيها تصرفات شوشو الشاذة؟ كثيراً ما قالت إنها متعبة، ثم أبدت استعدادها بعد ذلك بقليل للسهر في «بارتيتة بريدج أو كونكان» ... وكثيراً ما قالت نصيِّف هذا العام في الإسكندرية ثم تقترح بعد دقيقة التصييف في أوروبا أو رأس البر ... إن شوشو كما تعلم تغير رأيها في كل ساعة عدة مرات ...

عزت: مضبوط!

عبد الغني: أنا على كل حال أشكرك يا عزت ...

عزت (في دهشة): تشكرني؟!

عبد الغني: نعم؛ لأنك أزلت من نفسي هذه الريب السخيفة!

عزت (متنفساً): الحمد لله ...

عبد الغني (وهو يهمّ بالقيام): إياك يا عزت أن تخبر شوشو بما تحدثنا به الآن ... هذا سر بيني وبينك.

عزت: طبعاً ... طبعاً يا عبد الغني ... اطمئن ... اعتمد عليّ كل الاعتماد ...

عبد الغني: اسمح لي أن أتركك الآن ... لأذهب إلى ... (يشير إلى الكازينو) إلى إخواننا.

عزت: سؤال بسيط يا عبد الغني ... قلت الآن إنه لولا المصادفة البحتة الليلة لما عرفت الأمر.

عبد الغني: هذا صحيح ... إنها والله المصادفة وحدها ... لقد تذكرت يا سيدي بعد أن تركتني شوشو في الحفلة أني معزوم هنا على مائدة «مرسي بك أبو طويلة» ... لمناسبة عيد ميلاد ...

عزت: زين عصره؟

عبد الغني: تمام ... فرأيت من الواجب أن أحضر ... ولو لمدة خمس دقائق لا لتناول طعام ... فأنا متخم ... بل لمجرد المجاملة.

عزت: مفهوم ... ورأيت شوشو ... أقصد شوشو هانم في طريقها إلى ...

عبد الغني (مقاطعًا): لا ... لا ... لم أرها في طريق ... انتظر ... وأعجب للمصادفة، أخطأت يا سيدي في الكازينو ودخلت الكازينو الآخر الذي قبل هذا ... ولم أكد أخطو في حديقته قليلًا حتى لمحت مائدةً مثل هذه تجلس إليها شوشو، وهي تقضم قطعة من الكباب في صحبة ذلك الصديق ...

عزت (صائحًا على الرغم منه): ذلك الصديق؟ من ذلك الصديق؟

عبد الغني (بهدوء): الصديق الذي قلت لك عنه الآن.

عزت: أنت قلت لي عنه الآن؟

عبد الغني: وماذا كنت أصنع طول الوقت؟

عزت (بحدة): اسمه؟ ... ما هو اسمه؟ ...

عبد الغني: إنك تعرفه.

عزت: اسمه؟ ... اسمه؟

عبد الغني: بيني وبينك طبعًا ... رءوف علوي.

عزت (بغضب ممزوج بالدهشة): رءوف علوي؟ ... رءوف علوي يتعشّى الليلة معها؟

عبد الغني: كباب مشوي في الكازينو المجاور ...

عزت: أأنت واثق؟

عبد الغني: كل الثقة.

عزت (خارجًا عن أطواره): شيء عجيب ... شيء فظيع!

عبد الغني (في دهشة): فظيع؟

عزت: بالتأكيد ... أنت رأيت ذلك بعينك يا عبد الغني؟ ... زوجتك جالسة مع رءوف علوي على انفراد في الحديقة، قرب النيل، بين الأشجار، والقمر طالع، والنسيم عليل، ومع ذلك ... ومع ذلك ...

عبد الغني (في دهشة): ومع ذلك ماذا؟

عزت: أخبرني أولًا ... ماذا فعلت أنت بعد أن رأيتهما على هذه الحالة؟

عبد الغني: هذه الحالة! ... أي حالة!

عزت: هذا الانفراد ... هذه الخلوة ...

عبد الغني: لم أفعل شيئًا ... استطعت أن أضبط أعصابي ... وقد أحسنت التصرف ...

عزت: أحسنت التصرف؟!

عبد الغني: أليس هذا رأيك؟!

عزت: وماذا فعلا هما عندما أبصراك قادمًا؟

عبد الغني: لم يبصراني ... كانا مشغولَين بالأكل والكلام.

عزت (بغيظ مكتوم): شيء لطيف!

عبد الغني: وانسحبت أنا بدون أن أُشعرهما بوجودي؛ لأعطي نفسي فرصة للتحري الهادئ عن الأمر ... وخرجت من المكان فوراً ... ثم تبيّن لي خطئي في الكازينو ... فمضيت إلى هنا حيث أسعدني الحظّ بلقائك والاسترشاد بنصحك ... هذه كل القصة باختصار ... وأكرر الشكر ... وإلى اللقاء ...

عزت (يجلسه): انتظر ... سؤال ثانٍ ... أهما الآن ... في هذه اللحظة ... مجتمعان في الكازينو الآخر!

عبد الغني: على الأرجح ...

عزت: أوَيجوز لك يا عبد الغني أن تتركهما هكذا؟! ... أهذا يليق؟! ... أهذا يصح؟! ... أهذا معقول؟! ... أهذا مقبول؟!

عبد الغني (بدهشة): ماذا حصل لك يا عزت؟! ... ماذا دهاك؟!

عزت: تترك صديقك ينفرد هكذا بزوجتك!

عبد الغني: انفراد بريء بالطبع.

عزت: بريء؟! ... من أدرانا؟

عبد الغني (في دهشة): من أدرانا؟! ... أنت ... أنت يا عزت ... أنسيت ما قلت الآن؟ ... أوَكنت تفتيني وأنت غائب الوعي؟!

عزت: لست أدري ... ولكني الآن أرى الموقف بكل وضوح ... شوشو تكذب عليك وتدّعي التعب لتذهب بعدئذٍ إلى كازينو على النيل تتعشّى مع صديقك رءوف ماذا نسمي هذا؟

عبد الغني: ماذا تسميه أنت؟

عزت: ليس له غير اسم واحد: خيانة بكل صراحة!

عبد الغني: خيانة؟! ... هكذا ... مرة واحدة؟!

عزت: هذا رأيي.

عبد الغني: ورأيك السابق الذي أبديته منذ قليل وأكدت لي به أن ادعاء التعب أمر عادي، وأن انفراد زوجتي بصديقي لا قصد فيه لخيانة ... وأن كرامتي في الحفظ والصون ... إلى آخره ... إلى آخره ...

عزت: أردتُ تهوين الأمر عليك ... ولكن ضميري استيقظ.

عبد الغني: رأيك الحقيقي إذن هو أن شوشو ...

عزت (من بين أسنانه): خائنة!

عبد الغني: أليس في هذا الحكم الصارم بعض التسرع؟

عزت: لا يا سيدي الفاضل ... الجريمة ظاهرة ولا تحتاج لدليل ... تكذب هذا الكذب ... وتذهب إلى ذلك الميعاد ... لتتعشى مع من؟ ... مع رءوف ... رءوف علوي ... ذلك الشاب الرقيع السخيف المدلل الفارغ ... الذي لا يزهو إلا بمجموعة «كارافاتاته» الحريرية التي قاربت الألف! ... شوشو تعجب بهذا الطراز من الرجال؟! ... وا أسفاه! ... وا أسفاه!

عبد الغني: قد تكون غير معجبة به.

عزت (في أمل): أواثق أنت يا عبد الغني من ذلك؟!

عبد الغني: معلوماتي مطمئنة ...

عزت (في استجداء): أفصح ... وضح ... فصل ... أرجوك هل لاحظت شيئًا عن مدى العلاقة بينهما؟!

عبد الغني: علاقة طبيعية ...

عزت: طبيعية؟ ... كيف ... كيف؟

عبد الغني: طبيعية ... علاقة طبيعية ... أقصد لم ألاحظ شيئًا غير عادي!

عزت (بيأس): أف! ... ليس عندك إذن معلومات في الأمر ...

عبد الغني: أي نوع من المعلومات تريد؟!

عزت: ألم تقل مرة إنها تستظرفه؟ ... ألم تحادثه كثيراً في التليفون ... ألم تبادله نظرة من تلك النظرات؟! ...

عبد الغني: لا أتذكر.

عزت: تذكر ... يجب أن تتذكر ... أرجوك يا عبد الغني أن تتذكر جيداً ... ألم تلمح مرة شيئًا من هذا القبيل يحدث بينهما؟!

عبد الغني: لا ... مرة واحدة فقط ... حدث ...

عزت (بعجلة واهتمام): ماذا؟ ... حدث ماذا؟ ... تكلم ...

عبد الغني: ضحكت شوشو ضحكًا متواصلًا لنكتة قالها رءوف ...

عزت: نكتة قالها رءوف! ... رءوف يستطيع أن يقول نكتة تضحك! ... يا للطامة الكبرى! ... يا للكارثة العظمى! ... لا بد أن القيامة ستقوم قريبًا ... لا بد أن القنبلة الذرية ستنسف الكون ... لا بد أن الله سيمسخ الناس قروداً ... لا بد أن ...

عبد الغني: مهلًا ... مهلًا ... ما هذه الحماسة؟!

عزت: وأنت ... ما هذا ... ما هذا ... ما هذا الفتور؟! ... رءوف يأخذ منا ... أقصد يأخذ منك زوجتك ولا تحرك ساكنًا ...

عبد الغني: ومن قال إنه أخذها؟!

عزت: أنت ... ألم تقل الآن إنك ضبطتها معه تحت الشجر ... في ضوء القمر ...

عبد الغني: ضبطتها؟! ... هذه كلمة شديدة جارحة ...

عزت: جارحة لمن؟ ...

عبد الغني: لشوشو بالطبع ...

عزت: آه! ... إني آسف! ...

عبد الغني: اسمع يا عزت ... لا تعقد المسائل ... ولا تتكلم بانفعال ... راجع رأيك الأول الذي أبديته وأنت هادئ تجد أنه هو المعقول، يظهر أن ضميرك عندما استيقظ أراد أن يحدث ضجيجًا بلا مناسبة!

عزت (في إطراق): صدقت ... إني آسف ... كل يقظة فيها ضجيج! ... إني آسف ... إني آسف ...

عبد الغني: وأدمغتنا يا عزت اعتادت الراحة ... أتركك الآن لتتناول عشاءك ... ولأتناول أنا كأسًا عند إخواننا ... (ويشير إلى الكازينو) إلى اللقاء غدًا ... وأشكرك ...

(ينصرف عبد الغني، ويبقى عزت وحده أمام مائدته ... ولا يتمالك نفسه فيمد يده وينزع «الفوطة» التي فوق الطبق الآخر بعنف، ويلقي بها على الأرض ...)

عزت: تتعشى مع رءوف! ... وأنا هنا في انتظارها منذ ساعتَين! ... يا للفاجرة! ... يا للفاجرة! ... (يقرض أصابعه غيظًا ثم يصيح فجأة) جرسون ... عبده ... يا جرسون! ... يا عبده ...

عبده (يظهر مهرولًا): أفندم سعادة البك ... نشوي الكباب؟

عزت: لن تأتي ...

عبده: ماذا جرى ... لا سمح الله؟! ...

عزت: جرى ما جرى ... المهم أنها لن تأتي ... تناولت العشاء ... في كازينو آخر؟

عبده (بدون أن يفهم): كازينو آخر؟!

عزت: حسابك.

(يظهر عندئذٍ طفل آخر في العاشرة متدثرًا في الأطمار ... يحمل أوراق «اليانصيب» وهو يلتقط في نفس الوقت أعقاب السجاير.)

الطفل (مناديًا): ألف جنيه! ... ألف جنيه (يشير إلى كوب ماء على المائدة) تسمح يا بك ... أشرب؟ ...

عبده (يطرد الطفل بخرقته): امشِ يا ولد ... امشِ ...

عزت: دعه يشرب ...

عبده: يوسخ لنا الكوب ...

عزت: لا بأس ... (يناول الكوب للطفل) اشرب يا ولد ... (ثم يلتفت إلى عبده) وأنت كم حسابك يا عبده؟

عبده: ألن تتعشّى سعادتك؟

عزت: قلت لك إني شبعان ...

عبده: خسارة ... العشاء الفاخر الذي جهزناه ... تدفع ثمنه دون أن تمسه ...

الطفل (وقد انتهى من شرب الكوب يضعه): ربنا يطيل عمرك يا بك ...

عزت (يلتفت إلى الطفل): تعشيت يا ولد؟

الطفل: أنا؟! ... لا ...

عزت (يشير للطفل إلى الكرسي الذي أمامه): اجلس هنا وتناول هذا العشاء ... (لعبده) اشوِ الكباب يا عبده ...

عبده (في دهشة): أشوي الكباب؟

عزت: نعم ... وبأقصى سرعة ...

عبده (مشيرًا إلى الطفل باحتقار): لهذا ...

عزت: نعم ... لهذا ... ألست حرًا في عشائي؟ ... اذهب وأحضر الطعام جميعه بسرعة ... ولا تنسَ الفاكهة ...

عبده: أمر سعادتك! ... (ينصرف مسرعًا) ...

عزت (يلتفت نحو الطفل): لماذا لم تجلس ... ألم أقل لك اجلس ...

الطفل (مترددًا): لا يصح يا بك ...

عزت: بل يصح ... وأنا الذي أطلب منك ... اترك أوراق يانصيبك، وعلبة أعقاب

سجايرك تحت المائدة ... واجلس هنا ...

الطفل (وهو يضع ما معه): خذ مني يا سعادة البك ورقة بألف جنيه ... السحب بكرة! ...

عزت: لا أريد الورقة ... ولكني سأدفع لك ثمنها ...

الطفل (وهو يجلس أمامه): لا ... لا يا بك قصدي أن تأخذ الورقة بدون ثمن ...

عزت: قصدك أن تعطيني ألف جنيه في مقابل أكلة لن تكلفني أكثر من جنيه! ... هذا كرم منك!

الطفل (بدهشة): جنيه؟ ... سآكل بجنيه!

عزت: أهذا كثير؟

الطفل (برجاء): خذ مني ورقتَين بدون ثمن ...

عزت: ماذا أفعل بهما؟!

الطفل: ربما كسبت واحدة «البريمو».

عزت: لا أريد أن أكسب ...

الطفل (بعجب): لا تريد أن تكسب؟ ... لم أسمع مثل ذلك ... كل الناس تحب أن تكسب «البريمو».

عزت: وأنت؟

الطفل: أنا!

عزت: ألم يكن معك ذات مرة قرش؟

الطفل: نعم ... كان معي قرش.

عزت: ماذا فعلت به؟

الطفل: اشتريت به رغيف عيش وحلاوة طحينية ...

عزت: ولماذا لم تشترِ به ورقة قد تكسب «البريمو»؟

الطفل: لا ... هذا للزباين ...

عزت: الزباين؟

الطفل: نعم ... البكوات مثل سعادتك.

عزت: مفهوم ... أصحاب البطون الممتلئة! ... حقًا هم دائمًا المتعطشون لكسب الألوف!

الطفل: أعرف بك كبيراً مثل حضرتك ... يجلس في القهوة بالعتبة ... يشتري كل يوم جميع أصناف ورق اليانصيب من كل الباعة المارِّين ... وسمعتهم يقولون إنه صاحب أربع عمارات.

عزت (كالمخاطب نفسه): عندما تصبح عشرين عمارة فإن جوعه لربح المال يتضاعف ويزداد.

الطفل (يمد يده نحو طبق الخبز بتردد): هذا الخبز ... لحضرتك؟

عزت: خذ ... خذ ... لا تخف ... كل ما على هذه المائدة هو لك أنت ...

الطفل (يتناول قطعة خبز): آخذ لقمة ...

عزت: لا تكثر من الخبز ... انتظر الكباب ... أتحبُّ الكباب؟!

الطفل: ومن يكره الكباب؟!

عزت: أسبق أن أكلته؟

الطفل: كثيراً.

عزت (بدهشة): كثيراً؟! ... أين؟

الطفل: عند الحاتي ...

عزت (متعجبًا): الحاتي؟!

الطفل: الحاج درويش الكبابجي في باب الشعرية الله يستره رجل طيب ... كل جمعة يخرج لنا «الجردل» ملآن بما يفضل في الصحون ... ويقول لنا أنا وزملائي: كلوا يا أولاد واشبعوا ... ألستم أنتم أولى من الكلاب والقطط!

عزت: تأكلون ماذا؟ ... العظام التي تتبقى من زبائن المحل؟! ... أوَتجدون فيها ما يُؤكل؟

الطفل: كلٌ منا وبخته ... الولد «حباية» زميلي، تقع في يده دائماً العظمة التي فيها منهش ...

عزت: نعم ... نعم ... أما الفاكهة طبعاً فممنوعة.

الطفل: لا نعرف غير صنفَين أو ثلاثة ... في الشتاء البرتقال ...

عزت: وفي الصيف؟

الطفل: البطيخ والشمام.

عزت (بعجب): شيء عظيم ... وأين تجدون ذلك؟

الطفل: البركة في الصناديق!

عزت: صناديق؟ ...

الطفل: نعم ... الموجودة في الشوارع ...

عزت: آه ... آه صناديق القمامة!

الطفل: الشاطر فينا من يجري إليها عند الفجر قبل أن تأتي العربة الكبيرة ... وينزل من فوقها الكناس يطردنا ويضربنا ...

عزت: ولماذا يطردكم ويضربكم؟!

الطفل: لا ندري ... ولكنه يقول لنا ... امشوا يا كلاب ... أهذا يملكه أبوكم!

عزت: ومن الذي يملكه؟

الطفل: الحكومة.

عزت: قشر البرتقال والبطيخ والشمام؟!

الطفل: مرة كاد يلحق بي ... ولكن جريت منه ... فضرب بمكنسته قطة كانت تنبش معنا في الصندوق، فكسر رجلها وانطلقت تعرج وتصرخ ...

عزت: أفهم أن يضرب الكلاب والقطط ... ولكن لماذا يضربكم أنتم؟!

الطفل: ولماذا يضربها هي أيضاً؟! ... إنها تبحث مثلنا عن طعامها.

عزت: ألا تضايقكم؟!

الطفل: لا ... الصندوق متسع ... وفيه ما نريد نحن ... وما تريد هي ...

عزت (خجلًا من نفسه): صدقت.

(عبده يظهر متسرعًا ... وهو يحمل طبقًا به كباب، وطبقًا آخر به برقوق.)

عبده: شوينا بمنتهى السرعة!

عزت (يشير إلى جهة الطفل ويأمر عبده): ضع هنا ...

عبده (وهو ينفذ بغضاضة): لحم مفتخر ... لو دقت منه سعادتك ...

عزت: لا ... (يشير إلى المنشفة التي كان قد ألقاها على الأرض) هات يا عبده هذه «الفوطة»، وعلِّقها في صدر هذا الطفل ... (للطفل) نسيت أن أسألك عن اسمك ... ما اسمك؟

الطفل: اسمي «بندقة» ...

عبده (وهو يربط المنشفة في عنق الطفل بخشونة): بندقة فارغة!

عزت: لأنه ليس في جيبه محفظة! ... أليس كذلك؟!

عبده: أتأمر بشيء آخر يا سعادة البك؟!

عزت: لا يا عبده ... أشكرك ... (عبده ينصرف ويأخذ عزت في غرف بعض الكباب من الطبق الكبير إلى الطبق الذي أمام الطفل قائلًا:) والآن ... تفضل بالأكل ... يا بندقة! ... كُل طبعًا بيدك كما أنت معتاد أن تأكل ...

الطفل (يتناول قطعة لحم ويأكل بشهية وهو يقول): الله!

عزت (يراقب شهيته العجيبة): لذيذة؟!

الطفل (وهو يمضغ ويزدرد): الله!

عزت: ما شعورك؟

الطفل (غير فاهم): نعم؟

عزت: أقصد ... ماذا تحس الآن وأنت تأكل مثل هذا اللحم الفاخر؟!

الطفل (وهو يزدرد قطعة أخرى): هذه «كفتة» ... «كفتة» ... «كفتة» ...

عزت: بماذا تشعر وأنت تأكلها؟

الطفل (وفمه مملوء): الله ...

عزت (وهو يتأمل شهيته): أهي لذيذة إلى هذا الحد؟

الطفل (يعزم عليه): دق قطعة.

عزت: ليس عندي شهية ... مع الأسف ...

الطفل: ربما كنت لا تحب أن تأكل معي.

عزت: بالعكس ...

الطفل (وهو يأكل): عندما سأقول لزملائي الولد «حباية» والولد «زقزوق» والولد «محروس» إني أكلت لحم كباب ... حقيقي ... في طبقه ... مثل الزباين ...

عزت: ماذا يفعلون؟

الطفل: لن يصدقوني أبداً ... ولكني سأحلف لهم برأس سيدنا الحسين ... وسأصف لهم ...

عزت: تصف لهم ماذا؟

الطفل (وهو يرفع في يده قطعة): طعم الكفتة ...

عزت: ما هو طعمها؟

الطفل (وهو يزدردها): الله ...

عزت (في عجب): أمسرور أنت بهذا القدر؟ ... أسعيد أنت بهذا المقدار؟ ...

(تظهر سيدة أنيقة في مقتبل العمر ... هي «شوشو» وتتجه إلى المائدة بخطوات سريعة ...)

شوشو: تأخرت عليك قليلًا يا عزت؟

عزت: وماذا يهم؟ ... ما دمتِ قد تناولتِ العشاء ...

شوشو: حقًا ... لم أستطِع الاعتذار ... ألحوا عليّ كثيراً أن أتعشى في الحفلة؟

عزت: الحفلة؟!

شوشو: طبعًا الحفلة الخيرية ...

عزت: مفهوم ...

شوشو (تشير إلى الطفل): ما هذه القذارة؟! ... ألم تستطع أن تجد غير هذا تشغل به مكاني؟! ...

عزت: لا ... لم أستطع أن أجد قذارةً أشغل بها مكانك ...

شوشو: ماذا تقول؟!

عزت: لا ينبغي أن نصف هذا الطفل البريء بهذا الوصف.

شوشو: ما هذه المقابلة يا عزت؟! ... ما الذي جرى لك الليلة؟ أهذا كله لأني تأخرت ساعة عن الميعاد؟!

(الطفل ينهض ويتنحى عن الكرسي.)

عزت: أين تذهب يا بندقة؟!

الطفل (بحياء): أكلت ...

عزت: لا ... اجلس ... وأكمل عشاءك.

الطفل: شبعت.

عزت: تريد أن تترك الكرسي للست؟! ... إنها تناولت عشاءها كما سمعت ... ولديها كرسي ثالث هنا ... إذا أرادت الجلوس ...

شوشو: لا ... لن أجلس ... سأنصرف بعد لحظة ... الجو بارد! ...

عزت: مؤكد ... لا بد أن يكون كذلك ها هنا!

شوشو: ثق يا عزت أني كنت أود أن أتعشى معك ...

عزت: أيضًا؟

شوشو (بقلق): ماذا تقصد؟

عزت: أقصد طبعًا ... إلى جانب الحفلة الخيرية.

شوشو: نعم ... ولكني لم أستطع أن أجمع بين ...

عزت (بسرعة): بين مائدتَين في وقت واحد؟! ولمَ لا؟ ... هنالك مَن يستطيع الجمع بين ثلاث موائد ... وربما أكثر ... وأكثر ... من يدري؟! ... هنالك طراز من

الجياع يقضون من حياتهم كلها بين الموائد، ولا يملئون أبداً ما يشعرون به دائماً من فراغ ...

شوشو: من تعني بهذا الكلام؟

عزت (ينصرف إلى الطفل): كُل يا بندقة! ... أذقت من هذا البرقوق؟ ... (يعطيه واحدة) ما رأيك فيه؟

الطفل (يضعها في فمه): الله!

عزت: حلو؟!

الطفل (هاتفاً مبتهجاً): مثل السكر!

عزت (لشوشو): بشيء زهيد نستطيع أن نجعل هذا النوع البسيط من الجياع سعيداً ... أما غيرهم ...

الطفل (لعزت في تردد): سعادة البك ... أريد أن أطلب شيئاً ...

عزت: اطلب ... اطلب.

الطفل: أريد أن آخذ معي ثلاث برقوقات.

عزت: ثلاث برقوقات؟!

الطفل: نعم ... واحدة أعطيها لزقزوق ... وواحدة لحباية ... وواحدة لمحروس ...

عزت: فقط؟! ... لا ... بل كل ما تراه هنا فوق هذه المائدة ... من خبز وكباب وفاكهة ستحمله معك ...

الطفل (بفرح): أحمله معي؟!

عزت: نعم لأنه لك ... ألم أقُل لك الآن إن كل ما فوق هذه المائدة هو لك أنت!

الطفل (بفرح): أين أضع كل هذا؟! ... معي العلبة ... أرمي ما فيها من أعقاب السجاير ...

عزت: بل انتظر ... معي أنا هذه الجريدة ... صفحاتها عديدة كما ترى ... أجعل لك منها قرطاساً طويلاً عريضاً ...

(يتناول جريدة ويصنع قرطاساً يصبُّ فيه الكباب، وآخر يضع فيه الخبز ... وثالثاً

الفاكهة.)

شوشو (لعزت بسخريةٍ وهي نافدة الصبر): منذ متى تيقظت فيك هذه العواطف؟! ... أنت الذي كنت تشكو لطوب الأرض من جشع الفلاحين في عزبك؟!

عزت (لا يجيبها ويحمل الطفل القراطيس): أفي إمكانك أن تسير بها هكذا؟

الطفل: نعم ...

عزت: ألن يسقط منها شيء؟

الطفل: لا ... لكن ...

عزت: ماذا؟

الطفل: أخاف أن يضبطوني وأنا خارج من هنا ...

عزت: لماذا؟ ... هذه الأشياء ملكك.

الطفل: لن يصدقوا ... وسيضبطونني.

عزت: حقًا ... أنت الذي تُضبَط ... أما غيرك ... فإن مجرد هذه الكلمة تعتبر بالنسبة إليه شديدة جارحة ... (يلقي نظرة إلى شوشو) تستوجب المعذرة والتأسف! ... (ينهض مع الطفل) هلمّ أشيعك إلى الباب ... حتى تغادر هذا المكان كما جئته ... محتفظًا بشرفك!

شوشو (في ضحكة استهزاء): شرفه!

(يخرج عزت مع الطفل المحمل بقراطيسه دون أن ينظر إلى شوشو التي تبقى في مكانها تنفخ من الغيظ.)

(ستار)